زعماء الرّيبو "اللّيبو" و حُلم الوحدة*

إذا رجعنا إلى وثائق بداية الدولة الليبية ، نجد بأنّ مؤسس الدّولة اللّيبية "الفرعون شيشنق الأول" قد وضع الأجزاء الغربية من الدّلتا تحت إدارة زعيم قبيلة اللّيبو المدعو"تيو ماتين New Ma Tepen ".[1] غير أنّ الآثار المتفرقة التي ترجع إلى أواخر فترة الفوضى اللّيبية تشير إلى أنّ هذه الأجزاء كانت تحت زعامة حكّام ،يحملون اللقبين معا:زعماء اللّيبو و زعماء المشواش.ومن ذلك أثر موجود بمتحف القاهرة، يحمل رقم JE30972 مؤرخ بالعام 19 من عهد الفرعون شيشنق الخامس لصاحبه رئيس اللّيبو العظيم والزعيم العظيم للمشواش، القائد و الكاهن كر ker الذي كان حاكما على منطقة غير معروفة تسمّى " مفكي " غرب فرع دمياط .

وهناك أثر ثاني – دائما بمتحف القاهرة ،ويحمل رقم JE85647 – قد وُجد في كوم فرين (غرب الدلتا)مؤرخ بعهد شيشنق الخامس وصاحب الأثر يحمل الريشتين معا، واحدة موضوعة بطريقة المشواش و الأخرى بطريقة اللّيبو .

وعلى ضوء ما سبق ، نتساءل ما إذا كانت ذرية زعماء اللّيبو،الذين عايشوا تأسيس ونشأة الدّولة اللّيبية – وأمام تنامي نفوذ و سلطة المشواش أثناء حكمهم – قد حملوا لقب زعيم المشواش أيضا ،وأضافوا على رؤوسهم ريشة ثانية مثبتة بنفس طريقة المشواش، ثم في مرحلة لاحقة، ومع ذهاب سلطة هؤلاء المشواش وتفتّتها بين القادة ،ظهر تطوّر ثان في ذهنية اللّيبو، فاستغنوا عن لقب زعيم المشواش واحتفظوا بلقبهم الأصلي ؟ وهل كان ذلك في السنوات الأخيرة من حكم الدولة الليبية في مصر فقط ؟

– زعماء اللّيبو ، حكّام غرب الدلتا :

لقد عثر الأثريون على مجموعة من القطع الأثرية ، وكانت في معظمها عبارة عن ألواح قرابين قدّمها حكّام مقاطعات غرب الدلتا ، إمّا بمناسبة دينية أو من أجل تخليد انتصار ما؛ وقد حمل هؤلاء الحكّام لقب "زعيم اللّيبو ". و المفيد في هذه الآثار أن جزءا منها مؤرخ بحُكم فرعون ما، الأمر الذي يُمكّننا– إلى حدما– منترتيب حُكم هؤلاء الزعماء.

ومن أجل استيضاح هذا الأمر، سوف نعرض هذه الألواح مرتبة من الأقدم إلى الأحدث :

١– لوحة موجودة بمتحف الأرمتاج HERMITAGE (بسان بترسبورغ) و عليها رسم لشخص يضع على رأسه ريشة واحدة منتصبة،قائمة(على طريقةاللّيبو) وهو يقدم

---

* د. أم الخير العقون – قسم التاريخ والآثار – جامعة وهران– الجزائر

[1] - K. A KITCHEN ,the third intermediate period of Egypt .Oxford :1972. P .291 .

قربانا للإلهين "شو" و "تفنوت "، وبجانب الرّسم ،النص التالي : " السنة العاشرة من عهد ملك الأرضين إبن رع شيشنق ملك هليوبوليس " .

ويعتقد يويوت بأنّ المذكور في هذا النص هو شيشنق الثالث ، أما صاحب الأثر فهو " زعيم اللّيبو العظيم نم-ت-بد NEMTEPED. [٢]

وإسنادا إلى جداول كتشن (كما تعودنا) فهذه السنة توافق عام 815 ق.م.

٢- أثر موجود بمتحف الفنون الجميلة بموسكو، مؤرخ بالعام الحادي و الثلاثين من حكم الفرعون شيشنق الثالث أي حوالي 794ق.م ، ويقدم صاحب اللوحة ، وهو إبن زعيم اللّيبو العظيم المدعو " باورد بن إن آمون -نف بو PAWRED FILS DE EMANCEN NF BOU قربانا للإله أوزريس[٣].

٣- في متحف اللّوفر (باريس) دلاية صغيرة مصنوعة من الرّخام تُخلّد انتصار زعيم المشواش العظيم ، القائد كاهن" نيت" وكاهن " إدجو" وسيدة " إماو "المدعو أوسكرون .

أما نصّ اللّوحة فهو يترجم وحي الإله "رع حور أختي " سيّد السماء (وصورة الصقر مرسومة على قمة اللوحة) الساكن في هليوبوليس :" سأجعل قوتك مثل مونتو(إله الحرب)،وهيبتك وسلطتك على الأرضين(أي مصر العليا و السفلى) .

وهذه الدلاية صغيرة جدا (يبلغ قطرها 9.5 سم) ، ولا تحمل تاريخا ، واعتمادا على وثائق أخرى ، صنفها يويوت في الفترة مابين 800 و 740 ق.م [4] . أما "جريمال" فيعطيها تاريخا دقيقا و هو سنة 767 ق.م.[٥]

٤-هذه اللّوحة مؤرخة بالعام السّابع عشر من عهد "جلالته ملك الأرضين شيشنق الخامس"(أي حوالي 749 ق.م)،وتخلّد هبة قدمها زعيم اللّيبو العظيم "تر.بن.باندد Ter fils de Pande،لصالح رئيس الرّاقصين للإلهة "سخمتو الطفل هكة". [٦]

٥- لوحة في متحف القاهرة ،مؤرخة بالعام الثامن عشر من عهد "جلالته ملك الرضين شيشنق الخامس(أي حوالي ٧٥٠ق.م)و تخلّد ذكرى قربان قدّمه " حامل درع الفرعون ".ويُترجَم اللقب أحيانا إلى "رئيس القوافل أوشتحت -بن- أوحتركيتي "،لبيت الإلهة حتحور سيدة " مفكي "(مكان)،ويطلب صاحب القربان الصّحة و الرفاهية و الحياة الطويلة لسيده زعيم اللّيبو العظيم وزعيم المشواش العظيم ، القائد وكاهن حتحور في مفكي المدعو كر KER. [٧]

٦ – لوحة قربان موجودة في مخازن المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ويتوسط اللّوحة ،صور رجل على رأسه الريشتان (واحدة منتصبة و الأخرى منكّسة) ، واللّوحة مؤرخة بالعام الثلاثين من عهد شيشنق الخامس (أي حوالي العام 738 ق.م)زعيم اللّيبو العظيم،القائد العظيم "رود آمون ROUDAMAN" يقدّم قربانا للإلهة

"سخمت "و الطفل هكه" .و تعتقد الباحثة " برلنديني JOCELYNE BERLANDINI " بأنّ زعيم اللّيبو ، وقائد الجيوش " رودآمون " كان يحكم مقاطعة " كوم فرين " أو كوم الحسن " أو الاثنين معا،وأن الإلهة "سخمت والطفل هكه "كانا يُعبدان في هاتين المقاطعتين ،وهي على التخوم الغربية للدلتا. [٨]

٧- لوحة تخلّد ذكرى دفن عجل من عجول الإله أبيس في السرابيوم بمنف مؤرخة بالعام السابع والثلاثين من عهد شيشنق الخامس(أي حوالي 730 ق.م) " سيد الأرضين معطى الحياة دوما مثل رع، ليمنح الحياة الطويلة و الشيخوخة السعيدة لكاهن الإله بتاح المدعو" بشن بن عنخ سمطاوي"الذي يحمل نفس الألقاب،و لتبارك زعيم اللّيبو العظيم عنخ – حور ANKH – HOR وابنه هرباس HERBES . [٩]

٨- لوحة عُثر عليها في معبد مدينة هابو ، يتوسط اللوحة رسم لصورة المتعبدة للإله آمون " شبن اوبت " (ابنة الفرعون اوسكرون الثالث) ، وتحت الرسم عبارة مفادها ،أن هذه اللوحة مهداة من طرف مغنية الإله آمون " نب –إماو- محات " (وتترجم إلى " سيدة إماو في المقدمة) إبنة ملك اللّيبو "عنخ حور"،وتطلب من الإله آمون أن يعطي الحياة الطويلة للمتعبدة " أمندريس " ابنة الملك الكوشي" كاشتا ". [10]

وبالتالي فهذه اللوحة ،ترجع في تاريخها إلى فترة قبيل وصول الملك " بي عنخ " إلى الدلتا، ذلك أنّ والده "كاتشا " أو" بي عنخ " قد غزا في وقت سابق مدينة طيبة، وفرض على المتعبدة "شبن أوبيت"أن تتبنى إبنته أمندريس "لترثها في المنصب ".

ومن هنا نتبين أن "عنخ حور" كان زعيما على اللّيبو قبل سنة 730 ق.م سنة وصول بي عنخ إلى الدلتا،وأنه حكم في كوم الحسن (حاليا)، وكانت في العهد الفرعوني باسم إماو IMAO وابنته كانت تحمل لقب سيدة إماو .

٩- لوحة مدينة بوتو (وتعرف باسم لوحة فاروق) ، مؤرخة بالعام السادس و الثلاثين من عهد شيشنق الخامس (أي حوالي 730 ق.م)وصاحبها زعيم المشواش العظيم ، القائد زعيم اللّيبو " تف نخت " قدم قربانا لبيت الإلهة " إدجو "وتظهر على اللوحتين الإلهيتين " نيت " و " أدجو " معا . [11]

١٠- لوحة " إبتو " Ibto، مؤرخة بالعام الثامن و الثلاثين من عهد جلالته سيد الأرضين إبن رع (الخرطوش فارغ) . [١٢]

وصاحب اللوحة هو الزعيم العظيم، القائد،زعيم اللّيبو ،كاهن "نيت وإدجو" وسيدة إماو، سيد مقاطعات الغرب" تف نخت، [١٣] ويظهر هذا الزعيم على الرّسم وهو يضع على رأسه الريشتان معا .

- خصائص زعماء اللّيبو وسلطتهم :

بعد هذا العرض للآثار المتفرقة ، نستخلص بعض المميزات و الخصائص لزعماء حكموا الجزء الغربي للدلتا ،وحملوا في معظم الحالات لقب زعيم الليبو وفي حالات قليلة اللقب المزدوج (أي المشواش و الليبو معا) .

وفي هذا المقام ، نتساءل إذا ماكان هؤلاء الزعماء في الأصل ، قادة من المشواش بسطوا نفوذهم وفرضوا سلطتهم على اللّيبو، فحافظوا في بداية الأمر على لقبهم ، ثم تنازلوا عنه ،وأخذوا اللقب الثاني ليقبل اللّيبو بحكمهم ؟ أم أنّ ذرية زعماء اللّيبو الذين عايشوا نشأة الأسرة الثانية و العشرين، وقلدهم الفرعون شيشنق الأول حكم الأجزاء الغربية المتاخمة لليبيا- وأمام تنامي نفوذ وسلطة المشواش – قد حملوا لقب زعيم المشواش أيضا وأضافوا على رؤوسهم ريشة ثانية ؟ وفي مرحلة لاحقة، ومع ذهاب سلطة هؤلاء المشواش وتفتتها بين القادة ظهر تطوّر ثان في ذهنية اللّيبو، فأسقطوا لقب زعيم المشواش، واحتفظوا باللقب الأصل،كنوع من الوعي بخصوصيتهم،وكان ذلك في السنوات الأخيرة قبل غزو " بي عنخ " للدلتا المصرية ؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات نستعين بخصائص ومميزات اللّيبو، ومنها:

أ-ما ميّز زعماء اللّيبو عن المشواش ظاهريا هو تثبيت الرّيشة بطريقة مختلفة عن أبناء عمومتهم،فلقد وضع اللّيبو الريشة قائمة منتصبة على الرأس ويعتقد "يويوت "بأن ذلك راجع لكون اللّيبو الذين استقروا غرب الدلتا أثناء حكم المشواش لمصر، قد نزحوا إلى الدلتا في وقت متأخر بعد هزيمة الفرعون المصري أمام المشواش ،وأنّهم استغلوا فرصة تطوّر سلطة ونفوذ أبناء عمومتهم ،فتدفقوا على الدلتا وفضلوا الاستقرار في الأجزاء الغربية المحاذية للوطن الأم ،ولذلك احتفظوا بالرّيشة منتصبة لأنّهم لم يخضعوا للفرعون ،وأيضا لتميّزهم عن المشواش .

ب- نتبيّن أماكن استقرار اللّيبو من خلال ألواح القرابين السابق ذكرها. فقد ذكرت بعضها ، أقاليما و مدنا بالاسم ، في حين ذكر بعضها الآخر أسماء آلهة رسمية تعبد في كل مصر مثل أوزريس- بتاح وآلهة كونية مثل " رع و حورأختي (حور الأفق)، وأسماء آلهة محلية تُعبد على نطاق ضيّق في مقاطعات أو مدن فقط ،ومن ذلك :

- فقد ذُكر إسم سخمتوالطفل هكه،أكثر من مرة ،وكانت المعبودة سخمت [١٤] تُعرف باسم سيدة التحنو و التمحو (و هي قبائل ليبية)، أما الطفل "هكه" فهو إله مدينة "مانوا " في مقاطعة "إماو "(كوم الحي حاليا) ،كما وُجدت ، عبادته في ضواحي بحيرة مريوط(غرب الإسكندرية). ولقد وردت عبارة تقليدية في النّصوص الدّينية المصرية القديمة: "هكه من صلب سخمت ، يحصل ضريبة بلاد التمحو اللّيبية . [٣٤] [١٥]

كما ذُكرت عبادة سخمت والطفل هكه بالاسم في لوحات 4 و6 ،أما في اللوحات 3-8 و 10،فقد ذُكر إسم المدينة التي تُعبد فيها أيضا وهي إماو، وتعتقد الباحثة " برلانديني "، بأنّ عبادتها كانت في مقاطعتي " كوم الحسن " و" كوم فرين ".[١٦]

- الإلهة حتحور معبودة مفكي،كما ورد في اللوحة رقم 5 ،وهي مدينة تقع غرب فرع دمياط (انظر الخريطة)وتُعرف باسم أبوبولو Apo pollo شمال مدينة الكتابة على تخوم الصحراء.[١٧]

الإلهة "إدجو "وقد ورد ذكرها في اللوحات 3- 9و 10 وهي آلهة مدينة بوت .[١٨]

- أما الإلهة نيت NEITH ، سيدة مدينة سايس(صالحجر حاليا)عاصمة الأسرة الرابعة و العشرين فهي معبودة قديمة جدا ، ويُرمز لها بسهمين متقاطعين على جلد حيوان، كان يُثبّت على عمود قبيلة في فجر التاريخ . وكان لقبها " تحنوت " أي الليبية ، لأنّها جاءت إلى مصر من الغرب ، وكانت تُعبد في فجر التاريخ في كل الدلتا. و كان يُرمز لها وعلى رأسها التاج الأحمر.[4194] أمّا الأشرطة المتقاطعة ، فتمثل أهم قطعة لباس تُميّز الليبيين جميعهم منذ فجر التاريخ .

وعلى أساس ما تقدّم نخلص إلى أنّ معظم الألواح تشير إلى أنّ زعماء الليبو، قد حكموا مقاطعات في غرب الدلتا ، قريبا من الوطن الأم .

ج - الميزة الثالثة في هذه الألواح ،هي أنّ بعض الزعماء حملوا لقب زعيم الليبو فقط، في حين حمل آخرون اللقبين معا كرمز للسلطة المزدوجة.

- اللوحتان رقم 1 و2 وهما الأقدم تاريخا 815 ق.م و 794 ق.م ،و يحمل الزعيمان لقب زعيم الليبو فقط.
- اللوحة رقم 3 ومؤرخة بـ 767 ق.م اكتفى صاحبها بلقب زعيم المشواش .
- " " 4 " بـ 750 ق.م حمل صاحبها لقب زعيم الليبو .
- " " 5 " بـ 749 ق.م " " اللقبين معا.
- اللوحة رقم 6 و مؤرخة بـ 738 ق.م حمل صاحبها اللقبين معا.
- اللوحتان رقم 7 و 8 وهما مؤرختان حوالي 731- 730ق.م ، حمل صاحبهما لقب زعيم الليبو.
- اللوحة رقم 9 مؤرخة حوالي 731 ق.م حمل صاحبها اللقب المزدوج .
- " " 10 " " 730 ق.م لنفس الشخص مع اللوحة السابقة اكتفى هذه المرة بلقب زعيم الليبو فقط.

إذا أخذنا بترتيب هذه الألواح زمنيا،فإننا لا نستطيع أن نُجزم بتاريخ الجمع بين اللقبين أو الفصل بينهما .

وبمعنى آخر فإنّه،وفي فترات متقاربة،حمل بعض الزعماء لقب اللّيبو وحمل آخرون لقب المشواش وأحيانا جُمع بينهما. وهذا يجعلنا نتساءل إذا ما كان هناك أكثر من زعيم للّيبو في وقت واحد وحكموا في مراكز مختلفة .

ويبدو أنه كان هناك أكثر من زعيم يحملون نفس اللقب،فبعض الألواح تشير لشخصين يضعان على رأسيهما رمز الزعامة(الريشة)وعلى نفس اللوحة.[٢٠]

وفي نصوص بعض الألواح ، يَطلب صاحب القربان- ويحمل لقب زعيم اللّيبو - من الآلهة الصحة والسعادة لزعيم آخر،كما ورد في اللّوحتين رقم 5 و7.وقد نفسّر هذا بأنه- وكما يقتضي النظام الإقطاعي-كان هناك مجموعة من الزعماء الصّغار، يدينون بالولاء و التبعية لزعيم أقوى أو أمير .

أما عن مسألة الجمع والفصل بين اللقبين،يبدو أنّ الأغلبية رجعت في النهاية للقب زعيم اللّيبو.ونتبيّن ذلك بأنّ ستة من ثمانية ألواح و هي المرقمة 1-2-4-7-8-10 ، كان أصحابها يحملون على رؤوسهم الريشتين معا، لكنّهم فضّلوا لقب زعيم اللّيبو، ليكتب ضمن ألقابهم ،ويبدو أيضا،أنّ هؤلاء قد اعتمدوا في سلطتهم على اللّيبو .

و زبدة القول هنا، يمكن أن نفترض بأنّ قبائل اللّيبو أو الرّيبو RBW ، كما يرد ذلك على الآثار المصرية ،قد نزلوا نحو الدّلتا المصرية،في فترة لاحقة عن المشواش،وحافظوا على مميزاتهم الخاصة بهم،وأنّهم استغلوا الخلافات و الصراعات بين المشواش الذين استقروا على أخصب الأراضي وكوّنوا طبقة عسكرية نعمت بالرخاء و الرفاهية،ولكن ومع مرور الزمن فقدوا قوتهم، في حين حافظ اللّيبو- وهم جديدو عهد برخاء الحضارة المصرية- على صفاتهم القتالية.و ربما استعانوا بمدد من الوطن الأم ، لينزعوا السلطة من المشواش المتناحرين فيما بينهم .

- تف نخت مؤسس الأسرة الرابعة و العشرين :

لقد راود زعماء اللّيبو حلم توحيد مصر وحكمها بعد ذهاب ريح المشواش. ويبدو أنّ هذا الحلم قد ظهر مبكرا، قبل أن يصل الملك الكوشي " بي عنخ "على الدلتا المصرية حوالي 730 و729 ق.م ،ويصطدم بأقوى خصومه " تف نخت " .

لقد أشار " بي عنخ " في لوحة انتصاره ، على أن " تف نحت " يملك الغرب كلّه، من الشمال إلى الجنوب،وأنّ مملكته شملت مقاطعة المستنقعات الشمالية، مقاطعة ثور الصحراء،أكسويس (سخا حاليا) بوتو، سايس.وقد وصل في حدوده الجنوبية إلى منف، وأصبح سيد الجدار الأبيض(منف)و كاهن الإله بتاح؛ [21] أي أنه حكم الجزء الغربي للدّلتا من البحر المتوسط شمالا إلى منف جنوبا .

وبالاستناد إلى الوثائق السابق ذكرها ، نتبين أن" تف نخت "، لم يكن أول زعيم من اللّيبو،الذي عمل جاهدا من أجل توحيد مقاطعات الغرب، كمرحلة أولى؛ أو لتكون اللّبنة الأساسية لتوحيد مصر.ويبدو لنا أيضا أنّ " تف نخت " قد ورث جزءا كبيرا من مملكة الغرب عن سلف سابق له .

فصاحب الدلأية الموجودة بمتحف اللوفر،والذي يحمل لقب زعيم المشواش العظيم "أوسركون" الذي قدّر له كل من" يوبوت " و"جريمال "،بأنّه حكم في النصف الأول من القرن الثامن ق.م(كما أسلفنا).فأوسركون حسبما توفر لدينا من وثائق كان أول زعيم راوده حلم الوحدة،وقد نجح في تحقيق جزء من حلمه .

وإن كان هذا الأخير، قد حمل لقب زعيم المشواش ،إلا أنّه بدا على الصّورة و على رأسه الريشتان معا –وكان حاكما على مقاطعات الغرب حيث أغلبية السكان من الليبو –فقد حكم سايس (صاالحجر حاليا)عاصمة الأسرة الرّابعة و العشرين فيما بعد،وكذلك مدينة بوتو إلى الشمال منها،ومن سايس اتّجه إلى الجنوب الغربي وبسط نفوذه على مدينة إماو (كوم الحسن)كما توضحه ألقابه السابقة على الأثر رقم 5.

ويبدو أيضا،أنّ الزعيم أوسكرون،كان يطمح إلى وحدة أوسع تشمل الأرضين (مصر العليا و السفلى).فوحي الإله "حور أختي "على الدلاية،يترجم إلى" سأجعل قوتك مثل مونتو (إله الحرب)وهيبتك على الأرضين(في مصر موحدة) .

ونلاحظ هنا بأنّ "تف نخت "فيما بعد أخذ كل ألقاب سلفه أوسركون–وإن كنّا نجهل إذا كان سلفا مباشرا أم بعيد –وأضاف إلى هذه الألقاب لقب زعيم الليبو العظيم في اللوحة رقم 9 .[٢٢]

وقد تلا أوسركون، الزعيمان "كر " ثم" رود آمون " في اللوحتين 5 و 6 ،وإذا كان قد حملا اللقبين معا ، ممّا يفسّر السلطة المزدوجة على القبيلتين معا (أي إمارة كبيرة)[٢٣] إلا أن الأثرين قد ذكرا مناطق حُكمهما وكانت محدودة في " كوم أبوبلو " بالنسبة للأول " وكوم فرين" بالنسبة إلى الثاني .ثم تلاهما زعيم الليبو " عنخ عور"،الذي حكم في بادىء الأمر في مدينة "إماو "كما تبيّن لنا اللوحة رقم 8 ،وكان في طريقه إلى الاستيلاء على مدينة منف جنوب الدلتا(وكانت مهدا لأمراء المشواش).وهذا ما نستخلصه من تمنيات كاهن الإله بتاح في منف لصالح زعيم الليبو عنخ حور في اللوحة رقم 7 .

وإن كان الاستيلاء الفعلي لمنف قد تمّ لغيره أي للزعيم " تف نخت ".وبحلول عام 730ق.م لم يذكر "بي عنخ" من زعماء غرب الدلتا سوى" تف نخت " كحاكم بسط نفوذه على كل غرب الدلتا،وتؤكد رواية " بي عنخ "ماورد على متون اللوحتين9 و10

- **<u>جهود " تف نخت " لاستعادة وحدة مصر:</u>**

ما جاء في مصدر مانيتون حول الأسرة الرّابعة والعشرين وجيزجدا،فقد ذكر بأنّ الأسرة الرّابعة والعشرين قد حكمها بوخوريس BOCHORIS من العاصمة

"سايس"".ونطق حملُ(خروف)في عصره.." ست سنوات طبقا لأفريكانوس،وأربع وأربعين سنة طبقا ليوسيبوس [٢٤٥١]،

وكان يرى في الملك بوخوريس قاضيا ومشرّعا مثاليا ،في حين لم يذكر شيئا عن والده تف – نخت .

غيرأن الآثار المصرية تذكر أسماء ملكين حكما هذه الأسرة وهما تف – نخت، المؤسس للأسرة وخليفته "بكن رنف BAKEN –RENF " الذي اشتهر عند اليونان باسم بوخوريس.

وهناك أثر في متحف "فيينا" مؤرخ بالعام الثامن من عهد الملك " تف نخت " وهو عبارة عن لوحة تخلّد ذكرى قربان قدّمه للإلهة "نين" سيّدة مدينة سايس عاصمة ملكه. وفي هذا الأثر أخذ تف نخت كل الألقاب الفرعونية،ووضع إسمه في خرطوشة،ويتفق علماء المصريات بأنّ السّنة الثامنة ،كانت آخر سنة لحكمه. وأنّه حكم فيما بين 729 و 728 ولغاية 720ق.م.ولمّا توفيّ خلفه ،إبنه " بكن رنف " حكم من العاصمة منف لمدة ستة سنوات. وهناك أثر في السرابيوم يخلّد ذكرى دفن عجل أبيس في عام حكمه السادس [٢٥] وهذا يتماشى مع ما ورد عند مانيتون على رواية أفريكانوس.

أمّاعن "أوجين ريفيوه Eugene Revillout الذي انكب على دراسة تشريعات "بوخوريس" يعتقد بأن بوخوريس (بكن رنف) قد حكم أكثر من ست سنوات، ويستند في ذلك إلى بردية باللغة الدّيموطيقية، موجودة بمتحف " اللّوفر" و مؤرخة بالعام السادس عشر من حُكم ملك،لم يُذكر إسمُه،غير أن "ريفيوه" ينسبها إلى بوخوريس، ويعتقد بأن هذه الوثيقة ذات أهمية تاريخية قصوى، لأنها تؤكد أن الأمير "بكن رنف" حاكم منف و سايس ، قد حقق حُلم والده، وأنّه في العام السادس عشر، حكم مصر موّحدة. والوثيقة عبارة عن بردية باللغة الدّيموطيقية موجودة بمتحف اللّوفر بباريس، ورد فيها النّص التالي :" العام السادس عشر، ٢٦ من شهر تيبي ، المرأة المسماة "سيتور" تتنازل لأخيها غير الشقيق المدعو "آرنو بكن رنف" ، أرضا و مساحتها ،إثنين أرورا و ربع أرورا..." [٢٦] وإن كنّا نلاحظ أنّ كل المراجع التي صدرت بعد بحث "ريفيوه" تكاد تُجمع أنّ مدة حُكم "بكن رنف" لم تتجاوز الست السنوات.

لقد استند المتخصصون إلى لوحة "فيينا" لتحديد سنة نشأة هذه الأسرة بحوالي 728ق.م.غير أنّني أعتقد أنّ " تف نخت "بدأ بتكوين الأسرة في تاريخ سابق، وتمكّن من توحيد كلّ الدلتا تحت إمرته؛ ثم سار نحو مصر الوسطى وانضم إليه الفرعون نمرود، وكان في طريقه لانتزاع طيبة وإرجاعها إلى السلطة الليبية ، لولا اصطدامه بالملك الكوشي الذي عرقل مشروع إعلان الأسرة إلى ما بعد الاصطدام العسكري .

وبالتالي فهناك مصدر ثالث غير مصدر "مانيتون" والآثار المصرية هو لوحة انتصار " بي عنخ " وهو مصدر "معاد" ،وقد يبتعد عن الموضوعية،فقد ذكر الملك الكوشي نشاط " تف نخت "العسكري من أجل توحيد مصر .

- الوضع السياسي في مصر بعد بي-عنخ :

أ- أوضاع مصر في عهد تف-نخت:

لقد اختلف المؤرخون في نظرتهم لغزوة "بي عنخ"، فيرى فريق أنه، لمّا عاد إلى طيبة لم يفعل أكثر من التأكيد على ولائها لـ"نباتا" من خلال مركز أخته، و محتفظا بالسيادة النظرية بفضل جزء من جيشه الذي تركه في طيبة. و يرى فريق ثان أن "بي عنخ" قد ترك أخاه " شباكو Shabako في الدلتا، و أنّ هذا الاخير اشتبك مع الأشوريين، [٢٧] في حين يرى فريق ثالث بأن هذه الغزوة كانت مغامرة بدون طائل ، ولم يفهم أصحاب هذا الرأي لحدّ الساعة أسباب عودته السريعة إلى "نباتا" خاصة وأنه لم يقض على الاسباب التي جاء من أجلها إلى مصر، و بالتالي لم يكن ليجهل أنّ نفس الاحداث سوف تتكرّر من جديد. [٢٨]

وإذا بحثنا في شواهد الأحوال فإنّنا لا نجد أيّ نص أو أثر يشير إلى بقاء السيادة الكوشية على مصر السفلى.

و لقد سبق و أن تحاشى الملك بي-عنخ الاصطدام بـ"تف-نخت" ،ربما لأنّه أدى واجبه اتجاه مصر و كفى، أو لشعوره بحقيقة الوضع، وهي شعبية تف-نخت بين أتباعه و صعوبة قهره[٢٩]. غير أن ما وقع يجعل نقتنع بأن اهتمام "بي عنخ" الوحيد كان هو الاهتمامبجمع الضريبة والهدايا، و لم يكن وراء الغزو الكوشي أيّ دافع " قومي" ، أوأنه محاولة جادة لإعادة وحدة مصر.لكن الحقيقة كانت عكس ذلك، فالكوشيون كانوا ينظرون إلى مصر باعتبارها امتدادا سياسيا لمملكتهم. ولقد أقفل راجعا إلى عاصمته "نباتا " بمجرد أن أقسم له الأمراء يمين الولاء و الطّاعة، و تعهدوا بدفع الضريبة . وبالتالي فلم يُغير شيئا في الأسباب التي استدعت حضوره إلى الدلتا المصرية.

و لم يكن ولاء تف – نخت وخضوعه لـ"بي-عنخ" إلا إسميا، لذلك ترقب رحيله و استغل فراغ الميدان الداخلي لصالحه، فاسترجع سلطانه في الدلتا و الاقاليم القريبة منها، و استعاد الالقاب الملكية ، و حكم مصر السفلى لغاية عام حُكمه الثامن، كما يؤكد ذلك أثر متحف فيينا أي فيما بين 728 – 720 ق م.

و لقد غيّر سياسته الداخلية إزاء أمراء و زعماء المشواش في وسط و شرق الدلتا من التحالف إلى العداء، وقد كان لهذا الأمر ما يبرّره، من خلال مواقف الخيانة العديدة التي سلكها ممثلو هذه الامارات عند حصار منف ، ثم تقديم خضوعها الجماعي للملك الكوشي في أثربيس.و تيقّن أنه إذا أراد أن يوحّد مصر شمالها و جنوبها "يجب عليه

ان يوحّد الدلتا أولا ويخضعها بأكملها لسكّانه. و يبدو أيضا أنّه لم يغامر جنوبا لكي لا يتحرّش به الملك الكوشي من جديد.

و ممّا يؤسف له حقا هوعدم وجود آثار ونصوص تُفصح عن هذا النشاط العسكري وامتداد سيادته إلى شرق الدلتا .

و لقد شهدت أوضاع الدّلتا تحسنا كبيرا في عهده و انتعش الاقتصاد في الدّلتا كما تطوّر دور "تانيس" العاصمة الاقتصادية،فشهدت وصول السّفن اليونانية ابتداء من هذه الفترة و كانت تبادل سلعها من كروم و زيوت مقابل القمح و الماشية. و كانت وفود اليونانيين تصل إلى العاصمة سايس فيستقبلها الملك بترحاب كبير لأن هذا التبادل كان مريحا للطرفين. [٣٠]

وهناك أمر آخر قوّى حزب تف-نخت وهو أن الطبقة الغنية و"البورجوازية" قد تضرّرت كثيرا من غزوة "بي عنخ" لأنه استولى على كنوزهم و ثرواتهم،و احتفظ بها لنفسه ،في حين أوقف الضرائب التي كانت تدخل خزائن الحكّام على المعابد المحلية والاله آمون،و ذلك ليوطّد الكهّان سلطته في البلاد.وبالتالي فمن البديهي أن يكون قد حصل تقارب بين هؤلاء والزّعيم الوحيد الذي مازال يحافظ على مملكتهوجيشه وهو "تف-نخت"فالتف البرجوازيون في المدن الاقتصادية المتضررة حول " تف نخت "ليخلّصهم من الوصاية الكهنوتيةالتي فرضها عليهم الملك الكوشي بي عنخ. [٣١]

ب- أوضاع مصر في عهد بكن رنف :

كان "بكن رنف" ثاني وآخر ملك حكم الاسرة الرابعة والعشرين،وكان في عمر الشباب وقد ورث عن أبيه حكم مصر السّفلى،وغيّر العاصمة من سايس إلى منف.

ولم تفدنا الاثار المصرية كثيرا عن حكم هذه الاسرة،و كلّ ما وصلنا هو لوحة من السرابيوم مؤرخة بالعام السادس لهذا الملك،كما أسلفنا..ولقد جاء في الرواية اليونانية أنّ هذا الملك كان عادلا مجتهدا في تنقيح القانون ساهرا على الحق بكل قواه. [٣٢]

ولا غرابة في ذلك، فأحوال مصر الداخلية وقتئذ كانت سيئة للغاية،و تتطلب مثل هذه المجهودات و ربما كان يكمل عملا بدأه والده...

و لقد اتجه "بكن رنف" في أواخر سنين حكمه إلى طريق الاصلاح و تدعيم جانب من أسس العدالة والتشريع .و للأسف كانت تشريعاته سببا رئيسا في زوال حكمه، ذلك لأنها شملت مضامين تحرّرية و ثورية بالنسبة للمفاهيم السائدة في عصره.

و بصرف النظر عن الجوانب القانونية البحتة في هذه التشريعات – التي سوف نتعرض لها بشيء من التفصيل في الفصل الثامن – فإن انعكاساتها السياسية كانت كافية لإثارة العناصر الكهنوتية والعسكرية المسيطرة على كل موارد الدولة من أراض وعقارات.هذه العناصر التي كانت قد قطعت شوطا كبيرا في تعميق النظام الاقطاعي و تسيير أملاكهم بواسطة العبيد و الفلاحين المستأجرين.

ولقد حمل "بكن رنف" على عاتقه الحفاظ على سلامة حدود مصر ،بالرّغم من انشغاله بأمور بلده الداخلية، فقد كان له نصيب في السياسة الخارجية و من ذلك أنه لمّا شعر بأنّ حدود بلاده الشرقية مهددة من طرف الاشوريين،اتبّع سياسة تحريض أمراء فلسطين على "سرجون الثاني" وساندهم بجيش يقوده "سيبو "(كما ذكرت ذلك الحوليات الاشورية)غيرأنّ هؤلاء الحلفاء قد انهزموا في رفح (الحدود المصرية)حوالي عام 719 ق م .

ولعل المسائل التي تعرض لها تشريع " بكن رنف "،كانت بمثابة الضربة القاضية لأمال وطموحات الكهنة و من ثمة كان للوشاية التي مارسها هؤلاء أثر بالغ في نفس الملك الكوشي الجديد " شباكو " خليفة " بي-عنخ "عندما استنجد به الجنوب (طيبة) [٣٣].

ولقد وصل "شباكو" على رأس جيش إلى منف،في عام حكمه الثاني، المقابل للعام السادس من عهد " بكن رنف " ، و اصطدم الخصمان، و تردد المراجع كلّها على لسان "مانيتون" بأنّ شباكو قد أسر بكن - رنف و قتله حرقا،و إن كان هناك من يشكك في هذا المصير،ويعتقد بأنّها كانت دعاية من طرف الكوشيين،لكي يقبل المصريون او على الاقل المتضررون من تشريعات بكن-رنف، بشباكو الكوشي كفرعون على مصر.[٣٤]

و يعتقد أصحاب هذا الرأي بأن بكن-رنف واصل العيش في المستنقعات الشمالية(الدلتا) التي كان يخشاها الكوشيون على الدوّام.

و لقد انشأت الأسرة الخامسة و العشرون، و كانت متزامنة مع الاسرة الليبية في جزئها الاول، أثناء حكم "كاشتا" و "بي عنخ" لغاية سنة 716 ق م، ثمّ انفرد الكوشيون بحكم مصر أثناء فترة حُكم الملوك: شباكو ، طهرقة،و تانون آمون أي من 715 و إلىغاية 656 ق م.[٣٥]

و ممّا سبق ذكره، نخلص إلى أن الوحدة في الشمال ظلّت نظرية و معنوية فقط ،و ذلك فيما بين 730 و 715 أو 712 ق.م كما ذهب إلى ذلك بعض المؤرخين، لانه لم يتمكّن "تف-نخت" الزعيم العظيم لمملكة الغرب و لا المصلح "بكن-رنف" و لا "شباكو" الغازي الكوشي، في أي وقت كان من تحقيق الوحدة الفعلية لمصر.

و على الرغم من زوال زعماء المشواش من غرب الدّلتا، فإنّه في وسطها و شرقها بقيت مؤسسة زعماء المشواش متجذّرة في بعض الأماكن، حيث حفظت لنا الآثار- على سبيل المثال لا الحصر- لوحة مؤرخة بالعام الثاني من حكم "شباكو" بعد انتصاره على "بكن-رنف" و صاحب اللوحة هو الزعيم العظيم للمشواش و القائد "بات جنفي" Pat jenfy يقدّم قرابين... و في نص للامبراطور الأشوري "سنحريب" بعد دخوله مصر، يذكر عبارة ملوك مصر، و ربما يقصد بها زعماء مثل "بات جنفي" السابق ذكره... بل إنه مع مطلع القرن السّابع ق.م،كما تذكر بعض النصوص، كان ملوك

"نباتا"، يحاربون من أجل القضاء على ملوك الشّمال. و قال طهرقة حوالي 680 ق م، أنه هجّر نساء زعماء المشواش.[٣٦] بمعنى أنّ زوال الدّولة اللّيبية لم يكن معناه نهاية المشواش في مصر..

- الهوامش و التذييلات:

[2]- J.YOYOTTE, LES PRINCIPAUTES DU DELTA AU TEMPS DE L'ANARCHIE LIBYENNE . MELANGES MASPERO.TOME 66.LE CAIRE :IFAO. 1961 , P. 142 .

[3]-- J .YOYOTTE , OP.CIT. p 143.

[4] - J.YOYOTTE, LE TALISMAN DE LA VICTOIRE D'OSORKON . PRINCE DE SAIS ET AUTRES LIEUX . in BULLETIN TRIMESTEIELLE D'EGYPTOLOGIE , N= 31 . DORDOGNE , France :1960. PP 15 – 20 .

[5]- N . GRIMAL , Histoire de l'Egypte ancienne . France : librairie FAYARD ,1980, P. 387 .

[6] –J.Yoyotte, les principautés du Delta. P. 144.

[7] - IBID . P. 144 .

[8] - J. BERLANDINI, UNE STELE DE DONATION DU DYNASTE LIBYEN ROUDAMAN ,in BULLETIN DE L'ISTITUT FRANÇAIS D'ARCHEOLOGIE ORIENTALE . N. 78 . PARIS : 1978. P. P : 149 – 154 .

[9] - J.YOYOTTE , OP .CIT . P 145 . & K.Q. KITCHEN , O P - CIT , P. 362 .

[10] - J.Yoyotte, OP.cit , p 145.

[11] – J. Yoyotte ,op.cit.p153.

[11] – J. Yoyotte ,op.cit.p153.

[12] - كل الألواح المنسوبة للفرعون شيشنق الخامس ،وُجد الإطار المخصص لكتابة إسم الفرعون فارغا، لكن علماء المصريات اتفقوا على أنه شيشنق الخامس. وأنه أثناء الفوضىو قرب نهاية حكم الليبيين ، لم يعد الحكّام يكتبون إسم الفرعون ويكتفون بذكر سنوات حكمه ، وربما في ذلك إشارة إلى ضعف سلطة هؤلاء الفراعنة .

[13]- J.Yoyotte, op.cit. p .152. & - K.A.Kitchen, op.cit.p362.

[14]- سخمت : إسم إلهة الحرب و المعارك وتمثّل بإمرأة برأس لبؤة.

[15] - J.Yoyotte, OP.cit, p. 146 .

[16]- J.Berlandini , op .cit.p. 157 .

[17]- J.Berlandini ,op.cit.p .160.

[18]- J.BERLANDINI , OP.cit. P. P : 146- 148 . & - K.A.KITCHEN , OP. CIT. P. 362 .

[19]– محمد عبد القادر محمد ، الديانة في مصر الفرعونية. ط١ ، القاهرة :دار المعارف ،1984 .ص 229.

[20] -J.YOYOTTE, OP. CIT . P 143 .

[21] -K.A.KITCHEN , OP. CIT .P.P:362 – 363 .

[22]- - يفترض"بويوت " بأنّ أوسركون لم يكتب لقب زعيم اللّيبو نظرا لصغر الدلاّية ، واعتقدَ أنّ هذا الأثر يعود تاريخه إلى فترة مبكرة من "الفوضى الليبية " .ولذلك فضّل أوسركون كتابة لقب زعيم المشواش و نص الوحي ، وكانا في نظره أهم من اللقب الثاني . هذا إن كان صغر حجم الأثر هو السبب في عدم كتابته، كما يحتمل أيضا أنه لم يحمل هذا اللقب أصلا..

[23] - J.BERLANDINI , OP . CIT .P 155 . & E. DRIOTON & J. VANDIER ,les peuples de l'orient méditérranéen .T 2 , 4ème édit. Augmentée .PARIS : Presse universitaire de France , 1962, P. 544.

[24] - آلن جاردنر. مصر الفراعنة .تر. نجيب ميخائيل إبراهيم .ط.٢. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧ ،ص . 366.

[25] -K.A.KITCHEN ,OP. CIT. P.P 371-372. & - E. DRIOTON , J.VANDIER ,OP. CIT .P.545 ..

[26] – لقد اتكأ "ريفيوه" في اعتقاده هذا ، على نص الوثيقة ، التي هي عبارة عن عقد تنازل عن قطعة أرض بين شخصين، أحدهما يُدعى " آرنو بكن رنف" أي "صنيعة بكن رنف" .إذ يستبعد "ريفيوه" إمكانية تسمية شخص على بكن رنف ، بعد المصير الذي لقيه على أيدي الملك الكوشي (أحرق حيا).لذلك يفترض هذا الباحث أنّ العقد مؤرخ في عهد بكن رنف.
راجع ذلك عند :
E. Révillout, cọde de bochoris .in revue Egyptologie, V VII PARIS:Ernest Leroux,Librairie de la societe asiatique.1896.p57 & p11

[27]-- سليم حسن ، مصر القديمة.ج٩.القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٤ ، ص. 104.

[28] - E.Drioton & J.Vandier , OP.CIT . P 543.

[29]-- عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم.ج١،مصر و العرق. ط.٤، القاهرة : مكتبة الأنجلومصرية،١٩٨٤ ، ص .290.

[30] G. A. El- good, the later dynasties of Egypt. Oxford, England: imprimerie basil blackwell .1951, P.59.

[31]-J. Pirenne, Histoire de la civilisation de l ' Egypte ancienne : 3ème cycle de la 21ème dynastie aux ptolémés 1085-30 A-C . Suisse , Nechatel: Ed. De la baconnière ,1963, P. 72.

[32]ج ..هـ . برستد ، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي تر. حسن كمال ط.٢ ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧ ،ص 444.

[33] - J.H . Breasted ,ancient records of Egypt : historical document . Part IV . LONDON : university of CHICAGO press , 1906, 1907 . p . 452 , para. 886.

[34]- K.A . Kitchen , op. cit.p 377.

[35]-IBID , p468. & - E.Drioton & Vandier, op. cit. p 567.

[36]- J.Yoyotte , Les principautés du delta . P. 142 - 144